لنبدأ من البداية ونلقي نظرة على بعض الأساطير المتعلقة بالأصول. يقول السكان الأصليون إن العالم قد تلقى سكانه البدائيين من الكواكب السفلية. عاش البشر وجودًا مشابهًا من جميع النواحي للحياة الحالية على الأرض. وكانت هناك فروق في الرتب بينهم، ظهروا وأسسوا بحكم هذا الفعل بالذات حقوقًا معينة تتعلق بتوزيع الأراضي والامتيازات الاقتصادية والمهن السحرية. لقد جلبوا معهم ثقافتهم بأكملها، وقد استولوا على الأرض وأعطوا المجتمعات التي نشأت على هذا النحو الطابع الطوطمي والصناعي والسحري والاجتماعي الذي اكتسبته منذ ذلك الحين. بعد ظهور جوف خاص، ومن اللافت للنظر في هذا الحدث أنه خلافًا للقاعدة المعتادة (جوف بدائي واحد ونسب واحد )، حيوان عشيرة لوكولابوتا الذي بعد أن شق طريقه إلى سطح الأرض على طريقة الإغوانا، بعد ذلك بوقت قصير جاء الكلب، والذي كان يحتل في الأصل أعلى مرتبة. والذي يحتل حالياً أعلى مرتبة. بدأ الكلب والخنزير يركضان، وبعد أن رأى الأول ثمرة نبات النوكواسيجا، الذين ينتمون إلى أعلى عشيرة فرعية من عشيرة الملاسي، الذين قد يبدون تافهين وتافهين. عندما نكون على دراية بعلم الاجتماع لدى السكان الأصليين والدور الهام الذي تلعبه الرتبة، وعندما نكون على درا ية بسيكولوجية التماهي الطوطمي، قد حددت العلاقة بين العشيرتين المتنافستين بشكل نهائي. ولكي نفهم هذه الأسطورة فهماً كاملاً، يجب أن يكون لدينا فهم شامل لعلم اجتماع السكان الأصليين ودينهم وعاداتهم وتفضيلاتهم. يمكنك أن تفهم ما تعنيه هذه القصة بالنسبة للسكان الأصليين ومدى ارتباطها بحياتهم. إذا أتيحت لك الفرصة للعيش بينهم وتعلم لغتهم، إذا كنت على اتصال بالمجتمعات التي لا تزال تحت تأثير عشيرة الملاسي، فلن يفوتك أن تلاحظ أن الأسطورة المعنية لا تزال قوة فاعلة. التي تثبت التفوق النسبي للعشائر الأربع، إلا أن الأساطير المحلية الأقل أهمية لا تقل حيوية ونشاطًا، فعندما يصل أفراد مجتمع ما إلى قرية نائية، لا يتم إخبارهم فقط بالأساطير التاريخية المرتبطة بتلك القرية، وكلما كانت هناك نزاعات على الأرض أو تعديات على السحر أو حقوق الصيد أو غيرها من الامتيازات، وغالباً ما يُشار إلى ذلك للزوار، وربما يُضاف إلى ذلك أن الأخ بنى منزله في نفس البقعة التي بني فيها منزل الزعيم. وعلى سبيل المعلومات الإضافية، سيقال لهم أن الأجداد جلبوا معهم المواد الخام والأدوات وأساليب الصناعة المحلية. وفي أوكوبوبو وأوبويريا وأوبوادا، كما حصل سكان بوويتالو على أدوات قطع الخشب ومقبض الحربة لصيد أسماك القرشمن الأجداد الأوائل الذين خرجوا من باطن الأرض. وترجع معظم المجتمعات المحلية احتكاراتها الاقتصادية إلى ظهور السكان الأصليين. إن أهم هدية جلبها الأسلاف الجوفيون إلى العالم هي دائمًا ذات طبيعة سحرية، ولكن علينا أن نعود إلى هذا الموضوع ونتناوله بكل تفاصيله. فعند سماعه بظهور الأخت والأخ في وقت واحد، قد يتساءل عما إذا لم يكن ذلك إشارة أسطورية إلى سفاح المحارم؛ إن الاشتباه في سفاح القربى سيكون خاطئًا تمامًا، ومثل هذا الافتراض من المحتمل أن يكون هذا الافتراض قد أساء تصوير العلاقة المحددة بين الأخ والأخت، إن المعرفة التامة بالأفكار والمؤسسات المميزة لمجتمعات سلالة الأمهات هي وحدها التي ستمكننا من إدراك الأهمية الكاملة التي يجب أن نعلقها على ذكر اسمي السلالتين وفهم السبب الذي يجعل السكان الأصليين يولون أهمية كبيرة لها. مثل عدم أهمية دور الأب الاجتماعي وغياب أي مفهوم يتعلق بالإنجاب الفسيولوجي، لأوروبي على دراية بالأفكار القانونية للسكان الأصليين، المتعلقة بالمواطنة المحلية والحقوق الإقليمية ومناطق الصيد والمهن المحلية. تشكل جميع هذه الحقوق حكرًا على المجتمع المحلي، ولا يتمتع بها إلا أولئك الذين ينحدرون من نسل المرأة ـ الكاهنة الأولى. إن معرفة أنه بالإضافة إلى مكان النشأة الرئيسي، هناك عدة "أجواف" أخرى في نفس القرية سيكون مربكاً للأوروبي، إلى أن تمكنه دراسة متأنية للتفاصيل الملموسة ومبادئ علم الاجتماع الأصلي من تكوين فكرة عما يمثله المجتمع القروي المركب، وأنها تستمد معناها الحقيقي من الركيزة التقليدية للتنظيم الاجتماعي؛ ليس من خلال الاستماع إلى قصص أسطورية مجزأة، بل من خلال التطور داخل البنية الاجتماعية لقبيلتهم. فإن ما يكشف المعنى والمغزىالكاملين لأساطير الأصلبالنسبة للش عوب الأصلية هو سياقها الاجتماعي, إنه حقيقة أنهم يتعرفون تدريجيًا على فكرة أن كل ما يوصون به أو يؤمرون به له سوابقه ونماذجه في الماضي. ولن يكون من الصعب عليه بعد ذلك أن يفهم القصص المقتضبة على نمط تلك القصص المتعلقة بالأصول المحلية. فهي تعبر وتؤكد بقوة على الحقيقة الأساسية للوحدة المحلية ووحدة الدم بين مجموعة من الأفراد ذوي الأسلاف المشتركة، وإذا ما أضفنا إلى ذلك حقيقة أن كل السكان الأصليين مقتنعون بأن النسب المشترك والظهور المتزامن للباطن هو وحده الذي يضمن لهم حقوقًا على الأرض التي يشغلونها، يمكننا القول إن قصة الأصول تحتوي على الميثاق القانوني للجماعة. فحتى عندما يخرج سكان الجماعة المهزومة من بلدهم على يد جار معادٍ لهم، لدرجة أنه بعد فترة معينة من الزمن، إن الإحساس التقليدي بوجود علاقة حقيقية وحميمة بين الناس وبلدهم؛ كلها عوامل تساهم في الحفاظ على التماسك والوطنية المحلية والشعور بالاتحاد والقرابة داخل المجتمع. يجب ألا ننسى أن الأسطورة الأصلية لا تشكل سوى جزء صغير من

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

مجموعة الأفكار التقليدية بأكملها. ما أن نبدأ في دراسة الوظيفة الاجتماعية للأسطورة حتى نعيد لها معناها الكامل، حتى نصل تدريجياً إلى تكوين صورة كاملة ودقيقة قدر الإمكان للتنظيم الاجتماعي للسكان الأصليين. فيما يتعلق بالمواثيق والسوابق التقليدية، عندما يتم خنقالمطالبات المحلية لعشيرة من السكان الأصليين (أي العشيرة التي نشأت على الأرض التي تقيم عليها) من قبل عشيرة مهاجرة. إذ من الواضح أن المبدأ الذي يقضي بأن الأرض والسلطة ملك لمن ولدوا في البلد، بالمعنى الحرفي للكلمة، فإن سكان البلد الأصليين (ونحن نأخذ كلمة "السكان الأصليين" بمعناها الحرفي والأسطوري، كما يفهمها السكان الأصليون) غير قادرين على إبداء أي مقاومة لأفراد قارة فرعية. مقاومة أفراد عشيرة فرعية رفيعة المستوى قرروا الانتقال إلى منطقة جديدة. بالنسبة لحالات من هذا النوع، وتتجلى قوة المبادئ الأسطورية والقانونية في أن الأساطير التبريرية تحتوي على وجهات نظر ووقائع متعارضة وغير قابلة للتوفيق بينها، بينما تسعى إلى حجب أو تخفيف تعارضها عن طريق حادثة من الواضح أنها مخترعة لحاجة القضية. بقدر ما يتعلق الأمر بتعلقهم بالتقاليد؛ كلما ارتفعترتبة عشيرة فرعية طوطمية كلما زادت قوة توسعها. بعد هزيمة لحقت بالعاصمة. ودياغيلا التي لم تعد خاضعة لحكم التابالو، ويمكن العثور على نفس العشيرة الفرعية، على رأس قرى أويويوفا وجوميلابالا وكافاتاريا وكاداواغا الواقعة جميعها في العاصمة. ولم تدخلقرية توكواوكوا تحت سيادة التبولوإلا مؤخراً، هناك عشيرتان فرعيتان تحمل كل منهما نفس الاسم، تدعي كل منهما أنها ذات صلة قرابة بالأخرى، والحقيقة الثانية المهمة التي يجب ذكرها عن هذه القرى وحكامها هي أن العشيرة ذات السيادة لا تدعي أنها ظهرت محلياً في أي من هذه المجتمعات التي يملك أفرادها الأرض ويمارسون السحر المحلي ويمارسون صلاحيات السلطة. وتحتوي تقاليد هذه العشيرة على عدد من الحقائق التاريخية التي تحتاج إلى توضيح: تأسيس قرية أوليفيليفي قبل ثلاثة "عهود"، وتأسيس التابالو في توكواوكوا قبل خمسة "عهود"، والاستيلاء على فاكوتا قبل حوالي سبعة أو ثمانية "عهود". يشير مصطلح "عهد" إلى طول الفترة الزمنية التي تولى فيها زعيم معين السلطة. خاصةً أنه في كثير من الحالات لا يوجد سبب وجيه لأن يكون أقصر. التي تحدد بالتفصيل كيف ومتى ومن قام بتأسيس المستوطنة، على روايات مفصلة عن كيفية اضطرار الزعيم بوغوابواغا من أوماركانا في زمن آبائهم أو أجدادهم إلى الفرار مع كامل مجتمعه إلى الجنوب حيث بنى قرية مؤقتة. عاد بعد عامين لأداء مراسم السلام وإعادة بناء أوماراكانا. التي يمكن لأي مواطن بالغ عاقل أن يؤكدها بكل تفاصيلها، تمثل بياناً تاريخياً يمكن الوثوق بصحته على الأقل بقدر ما تكون البيانات من هذا النوع التي يتم الحصول عليها في المجتمعات البدائية موثوقة عموماً. في المجتمعات البدائية موثوقة بشكل عام. والبيانات المتعلقة بتوكواوكوا وفاكوتا، فالفرار بعد الهزيمة ممارسة شائعة بين هذه القبائل؛ والطريقة التي تصبح بها القرى الأخرى مراكز استيطان للأفراد ذوي الرتب العالية (أي الزواج بين نساء التبالو ورؤساء القرى الأخرى) هي أيضاً من خصائص الحياة الاجتماعية عند الهمج. فالزواج بين التروبريين هو زواج أبوي بين التروبريين، ومن وجهة نظر اقتصادية، ينطوي الزواج على تبادل مستمر للمواد الغذائية التي تقدمها عائلة الزوجة مقابل أشياء ثمينة يقدمها الزوج. والغذاء وفير بشكل خاص في السهول الوسطى في كيريوينا التي يحكمها الزعماء الأعلى رتبة في أوماراكانا. ومن وجهة نظر اقتصادية، لطالما سعت النساء ذوات المكانة الرفيعة وما زلن يسعين حتى اليوم في قرى مثل غوميلابابا وكافاتاريا وتوكواوكوا وسيناكيتا وفاكوتا للزواج من الزعماء ذوي النفوذ. يسير كل شيء وفقًا لنص القانون القبلي الصارم. ولكن سرعان ما تتفوق المرأة التابالو التي استقرت في قرية زوجها على زوجها بمرتبتها وغالباً بنفوذها. فإنهم يظلون أعضاء شرعيين في مجتمع أبيهم حتى بلوغهم سن البلوغ. وبالنظر إلى النظام المعمول به في جزر تروبرياند، فإن الأب يسعى دائماً، إلى إبقائهم معه بعد بلوغهم، ويشجعه المجتمع على ذلك، لأنهم إذا بقوا في المجتمع لا يمكن أن يسهموا إلا في تعزيز هيبته. فإنهم يبقون في مجتمع الأب ويمارسون السلطة السيادية فيه. فيمكنهم أيضًا البقاء والزواج في القرية، والبت في جميع المسائل المجتمعية التي تتطلب قرارًا، تولوا السيطرة على الاحتكارات والسحر. كل الحقائق التي ذكرتها للتو هي حقائق تجريبية بحتة. فوفقاً لإحداها، خرجت الأختان بوتابالو وبونوماكالا من الجوف البدائي بالقرب من لابي. ذهبتا على الفور إلى منطقة كيريوينا الوسطى واستقرتا في أوماراكانا. الأمر الذي كان بمثابة إقرار أسطوري لمطالبتهما بالعاصمة (وهي نقطة يجب أن نعود إليها). وبعد فترة من الزمن، وهي من النوع الذي يوفر الألياف الجميلة المستخدمة في صناعة التنانير. وأنتِ، إلا أنهم لا يراعون نفس المحرمات التي يراعيها الآخرون. إلا أن الأخت الصغرى هي التي أمرت الأخت الكبرى بالبقاء في أوماراكانا ومراعاة جميع المحرمات، ووفقًا لرواية متداولة في سيناكيتا، واستقرت الثانية في كوبوما، وبعضها، يشكلون ما يمكن أن يطلق عليه طبقة المنبوذين أو الأفراد المحتقرين بشكل خاص. وعلى الرغم من أنهم جميعاً يحملون نفس الاسم العام ولهم نفس الطوطم وقد يوضعون في الاحتفالات جنباً إلى جنب مع الأشخاص الذين ينتمون إلى أعلى الرتب، إلا أن السكان الأصليين يعتبرونهم يشكلون

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

طبقة خاصة بهم. ربما تأتي عشيرة لوكوبا في المرتبة الثانية بعد عشيرة الملاسي من حيث الأهمية. ومن بين العشائر الفرعية التي تتألف منها عشيرتان أو ثلاث عشائر تلي مباشرة عشيرة التابالو من أوماراكانا من حيث الترتيب. وقد انبثقت العشائر الثلاث من نفس الجوف الرئيسي الذي يقع بالقرب من لاباي، وكما نعلم بالفعل، فوفقًا للأسطورة المتعلقة بالظهور، كانت هذه العشيرة تحتل في الأصل أعلى مرتبة، إلى أن وقعت حادثة الكلب والخنزير التي عكست الترتيب. بالإضافة إلى ذلك، كان لوكوبا. معظم الأبطال الأسطوريين الذين لعبوا دورًا في العلاقات بين القبائل وفي الأشكال الاحتفالية للتجارة كانوا ينتمون إلى نفس العشيرة. إذا لم يتم نقلهم، لا زالوا يحتفظون بحظر السحر و، يزعم لوكوبا ما زالوا يؤكدون تفوقهم على المتطفلين. يوجد لديهم أقل عدد من الفروع الفرعية منخفضة المستوى مقارنة بالمالاسي. ليس لديهم أي سحر ذو أهمية أكبر أو أقل ولا تشير إليهم أي إشارة أسطورية. لا يلعبون دورًا مهمًا إلا في دورة توداڤا الكبيرة التي تربط العملاق دوكونيكان بتوتيم لوكواسيسيغا. ينتمي هذا العشيرة إلى رئيس قرية كابواكو الذي يعتبر في نفس الوقت رئيس منطقة تيلاتاولا. كانت هذه المنطقة دائمًا تعيش في حالة من العداء المستتر مع منطقة كيريوينا الفعلية وكان قادة تيلاتاولا منافسين سياسيين للتبالو، الناس من أعلى الطبقة الاجتماعية. كانت السلام يُعيد دائمًا من خلال حفلة مصالحة، وكانت الحالة السياسية للمقاطعتين تعود إلى ما كانت عليه قبل الحرب. كان قادة أوماراكانا غيورين من تفوق طبقتهم وكانوا يمارسون نوعًا من السيطرة العامة على المقاطعة المعادية، كان رئيس عمراكانا يكلف دائمًا خصمه المحتمل بأداء عملية إعدام رأسية عندما كان يجب أن تحدث. كانت تفوق حقيقي لرؤساء عمراكانا ناتجة عن موقعهم. وهكذا، ولكن في الحرب كانوا نظرائهم. بشكل عام، نجد أنفسنا منذ البداية أمام سؤال أساسي: هل يجب علينا أن نرى في الفروع الفرعية التي تظهر في الأساطير والخرافات تفرعات محلية بسيطة من ثقافة متجانسة، أي كوحدات وضعتها موجات هجرة مختلفة؟ إذا قبلنا الاحتمال الأول، لصالح الفرضية الأخرى، أن الأسطورة الرئيسية المتعلقة بالظهور تضع أصول 'الأسر الأربعة في مكان ملفت للنظر جدًا. يقع لاباي على الساحل الشمالي الغربي، الذي يعتبر المكان الوحيد المتاح للبحارة القادمين من الاتجاه الذي تهيمن عليه الرياح الموسمية. وفقًا للأساطير، من الشمال إلى الجنوب وعمومًا، هذا هو الاتجاه الذي يسود في الدورة الكبرى لقصص توداڤا وفي معظم أساطير كولا والتي نجدها في الأساطير المتعلقة بالهجرات. أن التأثير الثقافي، جنوبًا، تجد هذه الفرضية تبريرها في بعض الصراعات التي تتحدث عنها بعض الأساطير: الصراع بين الكلب والخنزير، بين توداڤا ودوكونيكان، نحصل على النمط التالي. ولكن كلاهما نسبيًا أصلي، حيث تقع مجتمعاتهم في الداخل وأن أنشطتهم الرئيسية هي الزراعة. مع الفرضية التي نعتمدها أيضًا. البطل المبتكر والثقافي، لا تشكل سوى وحدة اجتماعية فضفاضة، ومن خلال فرضية الوحدات الهجرية التاريخية، يبدو أن الفروع الفرعية الأقل ارتفاعًا قد وصلت أولاً، وأعتقد أن استيعابهم التوتيمي يشكل نتيجة ثانوية لعملية عامة لإعادة تنظيم اجتماعي حدثت بعد وصول المهاجرين الأقوياء والمؤثرين الذين ينتمون إلى عشائر توداڤا وتابالو. يُمكن اعتبار كل واحدة منها معقولة، لكنها تبقى دائمًا خارج نطاق المراقبة، دون أن تمارس أي تأثير على طبيعة الاستنتاجات، شريطة أن لا يفقد المراقب القدرة على السيطرة على قدراته الواقعية وعلى حسه بالواقع. لا أعطي له أهمية كبيرة، مقتنعًا بأن حتى المعرفة الكاملة بمنطقة معينة لا تجعل من الأثنولوج الجرأة على شيء غير إعادات خجولة ومؤقتة. قد يحدث أنه من خلال مقارنة عدد كبير من هذه النماذج نثبت قيمتها أو نبرز تفاهتها. أهمية هذه النماذج تكمن فقط في أنها تشكل فرضيات عمل تحفز على دراسة الأساطير بعناية أكبر ودقة أكبر، مرتبطة بجميع التقاليد وجميع الفروق الاجتماعية. من وجهة نظر نظرية علم الاجتماع لهذه الأساطير، ويشكلون سلسلة مستمرة ويؤدون في الواقع نفس الوظيفة الاجتماعية. يعيدنا هذا مرة أخرى إلى ما قلناه في البداية، مكتوبة في الأسطورة. من الواضح أن الدور الوظيفي للأسطورة يتفوق في حالات التوتر الاجتماعي، والأولوية والتبعية، وبالتأكيد عندما تحدث تحولات تاريخية عميقة. وليست رموزًا لواقعيات مخفية.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي